_قصة قصيرة
روزيليا
_حنان عماد خطاب

إهداء

_إلى أبي وأمي.

_إلى عائلة أمي.

_إلى روح جدي، رحمك الله يا من كُنت أقرب الأقربين.

_إلى صديقتي الصدوقة " دنيا عبد العزيز ".

_إلى من ساندتني دائمًا وكانت لي أكثر من أخت "هاجر إبراهيم ".

_إلى رفيقتي للجنة ومن باتت تشجعني على الصواب " أية دبور ".

_إلى من يدعماني دائمًا دون كلل أو ملل " أية أيمن، شهد عزام ".

_إلى زملائي وصديقاتي.

_إلى كل من ينظر لي بفخر دائمًا.

_إلى كل من دعمني وبث في روحي المواصلة.

_إلى كل من ظلمته الحياة ولا زال يقاوم بكل قوة.

_كُنت أجلس في مكتبي لأنهى بعض الأعمال المتأخرة، كانت الساعة الثانية عشر صباحًا، شَعرتُ بالتعب من عناء العمل طوال اليوم، اتجهتُ إلى الفراش لأخذ قيلولة عسى أن أستريح قليلًا ثم أكمل عملي فيما بعد، أتصلتُ على زوجتي وأخبرتها بأنى سأقيم في المكتب لإنهاء بعض الأعمال الشاقة وحدثت أطفالي قليلًا ومن ثم انهيت الحديث معهم، جلستُ أستريح قليلًا، ومَر اليومِ بسلامٍ، وفى صباح اليومِ التالي استيقظتُ على صوتِ شخصًا يهتف بإسمي، فبدأت استيقظ وأفيق من نومى، وجدت صديقي سامح يوقظني، يُخبرني بأن الصباح قد آتى وحان وقت العمل، اتجهتُ إلى المرحاض المجاور لمكتبي، وبعد قليل كُنت قد انتهيت وجهزت نفسي لأكمل بقيه أعمالي، عودتُ إلى مكتبي وإذا بسامح يسألني في بعضِ الأعمال

_ مازن!

= نعم

_ ماذا قررت؟

= أردفت بثقة : سأعود بالزمنِ إلي عام 1987

_ هل جُننت؟ ولكن كيف ذلك؟

= سأعود من خلال بوابة نقل الزمن للماضي

_ ولكنك كُنت طفل تبلغ السابعة من العمر فقط

= نعم أعلم، وسر وفاة أبى يكمن في هذه السنه بالتحديد، سأعود وأرى ماذا حدث لأبى وكيف مات

_ ولكن العواقب وخيمة يا صديقي فمعك فقط 48 ساعة إذا لم تكتشف هذا السر وتخرج ستُحتجز بالداخل إلى الأبد، وحين دخولك عَبر آليه الزمن لن تخرج منها سوى باكتشاف السر، فالشرطانِ نهايتهما موتك، فالأمر محتوم ولا مفر منه، يجب أن تُعيد حساباتك هذه المرة.

= أجبته بتفكير راودني من حديثه: أعلم ما تُريد إيصاله لي، ولكنى ظللت طوال الثلاثة وثلاثين سنه الماضية أبحث عن السر الغامض، فكيف تُريدُ منى أن أتخلى عن فرصة ذهبية ستجعلني أكتشف الحقيقة؟ لا أهتم سوى أن أعرف السبب ولا يهمني تلك العواقب.

_ حسنًا ولكن فكر مرة أخرى ولا تتسرع في التنفيذ، فوالدك قد توفى من ثلاثة وثلاثين عامًا، وأنت لديك طفلان وزوجة، لِم تريد العودة لشيء قد انتهى من زمنٍ طويل، عِش حياتك يا صديقي مع زوجتك وطفلاكما.

= حسنًا سأفكر ولكن أعتقد بأنني لن اتراجع عن قراري.

_ يا لك من عنيد.

=فأجبتُه بابتسامة : نعم كثيرًا

_ سأذهب لأكمل عملي

= وأنا أيضًا

وذهب سامح إلى عمله، وبقيتُ أنا أنهى باقي أعمالي، وشردتُ في كلامِ سامح قليلًا، أظن أنه على صوابِ ولكن كيف سأتخلى عن فرصة كهذه، فقبل وفاه والدى ببضع أيام قال لي :

" يا بُني احذر من صدماتِ الحياة ولا تتسرع في قرارك فقد تظن أنك على صوابِ وأنت لا ترى سوى جانب واحد فقط، فهذا خطأ فادح يقع فيه معظم الناس فاحذر، واجعل عقلك هو مرآتك وليس قلبك، وثِق في قدراتك بأنك قادر على أي شيء ما دام هُناك عزيمة وإرادة بداخلك"

ظلت كلمات والدي تتردد على أذني كثيرًا، كُنت أشعر بالحيرة ولكن حينما تذكرت تلك الكلماتِ عزمتُ على الذهابِ إلى الماضي واستكشاف ما حدث بالفعلِ، ولن أهتم بالعواقبِ.

أكملتُ عملي وحينما انتهيت عودت إلى المنزل، إذا بزوجتي وطفلاي يأتيان لاستقبالي وتتوسط البسمة أفواههم، وبعد ترحيبهم بي اتجهتُ إلى غرفتي لأبدل ملابسي وحينما انتهيت ذهبت إلى المائدة لأتناول الطعام مع أسرتي، وبعد الانتهاء أخبرت زوجتي رزان بأنني أُريد أن أتحدث معها قليلًا.

_ رزان، لقد قررتُ العودة إلى الماضي.

لا أعلم ما كانت تشعر بهِ حينما أخبرتها بذلك الخبر ولكن رأيت الحُزن يتوسط وجهها بأكمله

= هذا القرار النهائي؟

_ عزيزتي، أنا أسف حقًا ولكنك تعلمين أن هذا الأمر يُعنى لي الكثير

=نعم أعلم هذا، متى ستسافر؟!

_ الليلة في منتصف الليل

=بهذه السرعة؟

_ نعم فاليوم بداية اكتمال القمر وهى فرصة جيده لي ولا أُريد التأخير أكثر.

= حسنًا، سأعُدَ لك أغراضك

_ حسنًا

وبدأت رزان في توضيب أغراضي، ووضعتُ كل ما احتاجه في حقيبتي، وبعد مرور ساعتين كان حان وقت ذهابي، ودعتُ أسرتي وغادرت المنزلِ.

تبدأ رحلتي من هنا، معي فقط يومان والطريق شاق كثيرًا، صرتُ أسير بين الطرقات ولا يوجد أحدًا، فالجميع نائم ولا يوجد سوى ضوء القمر الذي يُنير الطريق ليلًا، ظللتُ أسير فيما يقرب من الاثنين كيلو، شعرت بقدامى تؤلمني كثيرًا، قاومت آلامي وأكملتُ سيرى حتى وصلت إلي بداية البلدة، فصعقت عندما وجدت حائط كبير، هذا يعنى بأن الطريق بات مسدودًا ولكن كيف ذلك؟ لقد قرأتُ في كُتب الأساطير بأن هناك نفق صغير في تلك المنطقة بالتحديد سيساعدني في الانتقال إلى العالم الآخر، شعرتُ بأن ما أريد تحقيقه هُدم أمامي للتو، كُنت سأعود أدراجي ولكن رأيت شيئًا غريبًا على الحائط فاقتربت شيئًا فشيئًا، ولامسته بيداي وجدت أنه باب ضخم من تصميم محترفين فمن يراه يَظنُ بأنه طريق مسدود، ولكن قراءتي لكتب الأساطير جعلتني أميزه بسهولة، فبدأتُ أُحرك البابِ وأدفع بكل قوتي، كانت محاولاتي في البداية تباتُ بالفشلِ ولكنى ظللت كثيرًا أُحاول حتي نجحت وبدأ الباب ينفتحُ، كان ضخمًا للغاية، وحينما فُتح الباب وجدتُ ممر طويل عريض عبارة عن ظلام دامس، فأخرجت الهاتف وانارت مصباح هاتفي ليساعدني على الرؤية، بدأتُ أسير وكان المكان رائحته أشبه برائحة الجثث العفنة التي مر عليها زمن طويل، بتُّ أسرع من خطواتي قليلًا حينما بدأتُ استمع إلى أصوات لا أعلم ما هي مصدرها، وصلتُ أمام باب ضخم كان يشبه ذلك الباب الذى قرأت عنه في كتب الأساطير، فهذا الباب لا يُفتح سوى بشفرة من كلمتين أول كلمة من ثلاث حروف والكلمة الثانية من خمس حروف، يجب استخراج حروفها من خلال بعض الرسوم، حيث نأخذ أول حرف من كل رسمه نتوصل لمعناها، وفي النهاية نقوم بتجميع الحروف لتصبح كلمة السر الخاصة بفتح ذلك الباب، بدأت أبحث على الحائط وجدتُ الكثير من الرسوم المتشابهة، أحضرتُ ورقة وقلم وبدأتُ استخرج الرموز ومعانيها وتجميعها، وبعد مرور ما يقرب من النصف ساعة استخرجت " ج ، ك ، ه ، ا ، ح ، م ، ن ، ي "

حاولت تجميعها وصُعقت عندما جمعت حروفها فكانت " هنا جحيمك "

وجدتُ الباب بدأ يتحرك ببطء حتى فُتح وبدأتُ أشعر باهتزاز الأرض بشدة من تحتي، علمتُ بأن هذا بسبب الباب وسينهار المكان في ايه لحظة أو هذا ما ظننته حقًا، هممتُ بالإسراع إلى الداخل وبدأتُ اسرع من خطواتي والانهيار يزداد أكثر كأنه شخصًا يلاحقني، حتى وجدتُ ضوء قادم من بعيد ركضتُ باتجاه الضوء حتى خرجت من المكانِ بأكمله، وجدتُ نفسي في مكان أشبه بأرض قاحله ليس بها زرع ورأيتُ لافته مكتوبُ عليها " مرحبًا بكم في روزيليا "

فانفرج ثغري بابتسامة، نعم لقد وصلتُ إلى بلدتي، عودتُ بالزمنِ إلى الماضي، هنا تبدأ رحلتي بالبحث عن حقيقة وفاه والدي، السر يكمن في هذا المكان وبالتأكيد سأجد هذا في منزلنا، بتُّ أسير بين الطرقات بمفردي، فالمكان هنا فارغ كأن لا يوجد أحد غيري، أين الناس؟ ولكن لم أعطي للأمر أهمية، اكملتُ سيري حتى وصلت أمام المنزل، دلفتُ للداخل، كان المنزل نظيف ولا يوجد به غبار، فجأة سمعتُ صوت أبي يهتف باسمي، فرأيتُ طفل يركض إليه ضاحكًا قائلًا له " نعم أبي ؟

شعرتُ بالصدمة مما رأيته، هذا أبي وهذا أنا حينما كُنت في السابعة، تلك المرة كانت أخر مره رأيت بها والدي، كم اشتقت له كثيرًا، وجدتُ نفسي حينما كنتُ صغير العب مع والدي وبعد وقت قليل نادتني أمي لتناول الطعام في الحديقة، فخرجتُ معها وإذا بعمي صديقُ أبي الوحيد يدلف له ويتحدث معه، كان يبدو عمي غريبًا هذه المرة، لم يكن طبيعيًا، بدأ يُخبر أبي بأن هناك أوراق هامة يجب الإمضاء عليها، فأخذ والدي منه الأوراق وبدأ يمضي دون أن يقرأ فهو كان يثق به كثيرًا فهو صديق عمره الوحيد، وحينما انتهي أبي من التوقيع إذا ببسمه تنفرج على وجه عمي بخبث وكأنه كان يخطط لشيء ونجح في مخططه، فذهب بعدها معللًا سبب ذهابه بأن هناك عمل طارق يجب إنهائه، مر اليوم بسلام دون ذكر شيء جديد أو غير مألوف، وفي المساء إذا بشخص يهاتف أبي لم أكن أعلم من هو في البداية ولكن أبي شعر بالغضب الشديد من المكالمة، وبدأ يتفوه بكلمات وبصوتٍ عال قائلًا "كيف لك أن تخون ثقتي بكَ لقد وثقتُ بك واعتبرتكَ أخي ولم أكِن لك سوى الحب، لِمَ فعلت هذا بي؟ لِمَا أردت قتلي بتلك الطريقة؟ أصبحت سبب دماري، لقد عانيتُ كثيرًا حتى أبني تلك الشركات، كيف لك أن تأخذها بتلك السهولة؟ ولكن الخطأ مني لأنني لم أكن اراجع الأعمال خلفك، سحقًا لك يا من كُنت أظنه خير الرفيقِ، لا أريد أن أرى وجهك ثانيَّة " وانتهت المكالمة ولكن بدأ أبي يشعر بالتعب الشديد؛ لأنه يعاني من الآم في القلب، ولا يتحملِ الصدمات ولوهلة سقط مغشيًا عليه، فركضت أمي إلى الغرفة وجدت أبي لا يتحرك، أسرعت بالاتصال بالطبيب وأتي على الفور ولكن ما قاله الطبيب جعلني أشعر بأن كوب ماء بارد سقط فوقي، لقد تعرض أبي لأزمه قلبية ولم يتحملها فمات، والسبب في موته ليس إلا عمي الذي كان يعتبره أبي صديقه الوحيد، اتضح الأمر أمامي في هذا الوقت وعلمتُ بكذب عمي حينما أخبرني بوصية أبي وأنه قام بتحويل كافة شركاته باسم عمي ولم يترك لنا سوى هذا المنزل، انهيت تصوير ذلك المشهد أمامي، نعم كنت أصور ما يحدث حينما دلفتُ إلى داخل المنزل، لقد قرأت في كتب الأساطير أن الانتقال عبر الزمن يُمَكِّنُنَا من التصرف والرؤية بوضوح كما لو أننا نشاهد فيلمًا، وقومت بتسجيل المكالمة بين أبي وعمي أيضًا، لحسن الحظ كان أبي يشغل مكبر الصوت وظهر صوتُ عمي أيضًا، دلفتُ إلى باقي الغرف أبحث عن أوراق أبي ولكن جاءتني إشارة بأن أول يوم قد انتهي ولم يتبقى سوى نصف يوم، فيجب عليا العودة قبل ظُهور القمر ليلًا في السماء، أسرعت إلى إكمال ما كنت أبحث عنه وبعد بحث دام أكثر من ثلاث ساعات لم أجد ما أريده، جلستُ استريح فيما يقرب من الساعة وأفكر في الأمر بتركيز حتى تذكرتُ تلك الخزنة السرية التي لم يخبر أبي عنها أحد غيري، اتجهتُ إلى غرفة المكتب ورفعتُ تلك اللوحة العملاقة من على الحائط، وجدتُ خلفها تلك الخزنة، وضعتُ كلمة السر فأبي أخبرني إياها، لقد كانت اسمي " مازن "

رأيتُ الخزنة تُفتح أمامي وبداخلها الأوراق، كانت السعادة تغمرني، أخذتُ الأوراق وبدأت اتفحصها بدقه، فكانت جميعها تخص وصية أبي وممتلكاته، وضعتها في حقيبتي واتجهت إلى الخارج لأعود إلى عالمي مرة أخرى فلم يتبقَ سوى القليل من الوقتِ.

غادرتُ المنزلِ وتجولتُ بين الطرقات حتى وصلت إلى ذلك الممر الذي دلفت منه إلى القرية، أسرعتُ بالذهاب ومررتُ بكل ما حدث لي في أثناء دخولي، ولكن خرجت بعد عناء فكان الوقت يقترب على النفاذ. شعرت بالفخر الشديد بنفسي، وظللتُ أردد جملة " لقد فعلتها ".

غادرتُ المكان بأكمله ولكن لم أعد إلى البيت بل اتجهتُ إلى مكان آخر، ذهبتُ أقدم بلاغ في صديق والدي، وبعد مروري بالعديدِ من الإجراءات الاحترازية قدمتُ الدلائل ضده وبالفعلِ تم القبضُ عليه وحُكم عليه بالسجن 25 عامًا مع الأعمالِ الشاقة، شعرتُ بأن حمل ثقيل قد سقط من على كتافي. عدتُ للمنزلِ لأري زوجتي وأطفالي لقد اشتقتُ لهم كثيرًا، ولكن حين دخولي وجدتُ زوجتي والدموع تنهمرُ من على وجهها كالسيول، شعرتُ بالقلق فذهبتُ إليها وحينما رأتني ظهر انفراج ثغرها يزينه ابتسامه

_لقد قلقتُ عليك كثيرًا، ظننتُ بأنني لن أراكَ مجددًا

بدأتُ أجفف دموعها بيداي فأردفتُ قائلًا " عزيزتي، أنا بخير لا تقلقي، لقد عودتُ وسأبقى معكم دائمًا "

_اتعدنُي بذلك؟

= حسنًا، أعدك ولكن كُفي عن البكاء

_هيا، لتغير ثيابك حينما أُجهز لك العشاء، يبدو عليك التعب الشديد

دلفت أغير ثيابي وبعد قليل جلستُ مع عائلتي الصغيرة في جوِ ملئ السعادة والحب، لوهلة تخيلت لو أنني علقتُ هناك ماذا كان سيحدث لهم؟ حينها أدركت ماذا كان يقصدُ ابي حينما قال لي " فقد تظن أنك على صواب وأنت لا ترى سوى جانب واحد فقط" ولكن حمدًا لله فكل شيء مر بسلام.

#حنان عماد خطاب